استراتيجية الحوار في مكافحة التطرف الديني

المدرس المساعد

بلسم سعد عبد الستار

الخلاصة:

إن موضوع التطرف الديني هو واحد من أهم المواضيع الحيوية ذات الخطر الكبير، حيث إن خطره يهدد الأمن والنظام العام في المجتمع، إن صور التطرف الديني واسعة، وآثاره كثيرة الحدوث في حياتنا اليومية من فتن وحروب طائفية وانتشار الأفكار المتطرفة، وكذلك التحريض على العنف والذي ساهمت فيه وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة،

وكذلك ساهمت فيه مناهج التعليم والمحاضرات والخطابات الدينية، كما كان للمذاهب والرموز الدينية دور في تأجيج نيران التطرف الديني أو إخمادها لما لهم من تأثير بارز في حياة الأفراد وسلوكهم.

Abstract

The issue of religious extremism is one of the most important as its danger threatens security ،vital issues with great danger and public order in society. The forms of religious extremism such ،are wide and its effects frequently occur in our daily lives as well ، the spread of extremist ideas، sectarian wars،as strife audio ، to which I contributed. Visual،as incitement to violence lectures and ، as well as educational curricula،and print media contributed to it. Religious doctrines and ،religious discourses symbols played a role in fanning or extinguishing the fires of religious extremism because of their significant influence on the lives and behavior of individuals.

المقدمة:

إن ظاهرة التطرف بشكل عام متجذرة في العمق التاريخي، ويمكن القول إنها بدأت منذ خلق البشرية، حيث يسري قانون بين البشر مفاده أن القوة والغلبة وحب السيطرة هي المنهج والطريق الوحيد الذي يجب عليهم اعتماده لكي يحصلوا على رغباتهم وحاجاتهم.

تتفاوت سلوكيات هذا القانون بين ما هو عادي طبيعي، وبين ما هو عنيف، تبلغ ذروتها عندما تصل إلى التطرف والعنف التدميري ومعناه الشغف بسفك الدماء، ومدونات التاريخ تنطق وتخبرنا عن المشاهد المروعة التي عرفتها المجتمعات البشرية والحروب التي تندلع هي تقرير عن القسوة والتعذيب الذي كان يُرتكب بحق الإنسان والإنسانية.

إن العنف والتدمير والقسوة مفردات عدوانية واسعة الانتشار، وهذه الحقيقة لا تحتاج إلى دليل، وقد أوضح ذلك دارسون كثر للمجتمع البدائي، ونحن أنفسنا كنا ولا نزال شهودًا على أمثال هذه الأعمال العنيفة من التدمير والقسوة، بحيث لا نحتاج إلى السجل التاريخي، ومما يزيد الأمر سوءًا التحريض الروحي والديني على هذه الأعمال العنيفة المتطرفة.

ومن هذه القاعدة نصل إلى أن التطرف موجود داخل كل مجتمع وسلوكه ليس بالمنهج الجديد؛ لأنه يتعلق بطبائع البشر ورغباتهم، ولكن يزداد خطر التطرف عندما ينتقل من طور الفكر والاعتقاد النظري إلى طور الممارسة والفعل الذي يعبّر عن نفسه بأعمال عنيفة.

إن الأفعال المتطرفة لا تنحصر بدين أو مذهب أو جماعة، الجميع يقع تحت سطوته دون استثناء وله أشكال متعدد من تطرف سياسي وثقافي واجتماعي وديني....

لكن أخطرها التطرف الديني؛ لأن صاحبها مؤمن عقديًا وأيديولوجيًا بالأفعال التي يرتكبها من خلال استخدامه النصوص الدينية لتبريرها، وهذا الشكل من التطرف أصاب متطرفي معظم الأديان، تطرف يهودي ومسيحي وإسلامي.

_ التطرف اليهودي

نجد التطرف الفكري طاغيا في عقائدهم، فهم يعتبرون أنفسهم شعب الله المختار، هذه العبارة هي الدافع الأكبر إلى الانغلاق عن الآخر، فهو مصاب بنوع من عقدة الاستعلاء، أي شعب من نوع آخر لا يمكن اعتباره من البشر، وهذه العقيدة تدل على العنصرية الفكرية.

يعتقد اليهود أن تأسيس إسرائيل هو تحقيق للنبوءة التوراتية، ثم تنطلق حركة صهيونية من التفسير الحرفي للكتاب المقدس ومن الإيمان بأن اليهود لا يزالون شعب الله المختار.

أما الأصوليون الإسرائيليون فقد زادو من انتشار التعصب والتطرف، فأشعلوا العالم برمته بنيران الحقد والكراهية العقائدية، أمثال ذلك الشعار الديني المقدس لهيئاتهم الخيرية (ادفع دولارا تقتل عربيًا مسلمًا أو نصرانيًا).

_التطرف المسيحي

كان للكنيسة في العصور الوسطى دور مهم في التطرف الفكري المسيحي، ومنذ أن اعتنق الإمبراطور الروماني " قسطنطين" المسيحية عام (٣١٢م) بدأ بعض رجال الدين المسيحيين بالمطالبة بقصر الدين على المسيحية واضطهاد سائر الأديان الأخرى.

كما أصبح القديس " أوغسطين" شديد التعصب وداعية إلى الاضطهاد باستعمال القوة والقمع، ويبرر ذلك بأن إرغام الآخرين على اعتناق المسيحية يؤدي إلى تعليمهم، واستند إلى نصوص إنجيلية (تأويل وتبرير) " إرغموهم على الدخول ".

و ازدادت قوانين الاضطهاد، فقد أصبح للحكام دور ديني إلى جانب دورهم السياسي، مما أدى إلى صراع بين البابوات والأباطير لكسب التأييد الشعبي.

كذلك كانت الحروب الصليبية تعبيرا عن تلك الأفكار المتعصبة المتطرفة، فهي من جابت الغرب الأوروبي بغرض هيمنه سياسية واقتصادية وإعلانها حربًا مقدسة للتشدد المسيحي، لإضافة مشاهد العنف الذي يُرتكب بـ " شاء الرب " وتأكيدا على تسيس المؤسسة الكنسية وعلى التطرف الذي يمكن أن يصل إليه الحماس الديني ويعتبرونها حربًا عادلة لتأكيد شريعة العنف المسيحي، لكن بعد فشل هذه الحملات قاموا بغزو العالم الإسلامي العربي فكريًا عبر حركة المستشرقين، وهذه الحركة أصبحت دليلًا إرشاديًا يمهد الطريق لأي نوع من أنواع الاستعمار.

_التطرف الإسلامي

عانت الأمة الإسلامية بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله) من مشكلة تفسير _ تأويل النصوص الدينية القرآنية، فالقرآن يتضمن آيات محكمات وأخر متشابهات، والمشكلة وقعت في تأويل المتشابهات، فنشأت مشكلة الفرق الدينية المذهبية والسياسية، وقد عبروا عنها بحقبة الفتنه، أما اليوم فقد أصبح الإسلام غريبًا في أحكامه وتطبيقاته، تفتت أركان الأمة الإسلامية، حيث أصبح التطرف الديني يشمل مجموعة من الأفكار والفتاوى التي تتناول كل جوانب الحياة وتدعو إلى تحريم كل شي من نعم الحضارة والحياة المعاصرة، حيث نرى في جميع قضايا المجتمع والحضارة لهم رأي مخالف للعلم والمنطق، بل حتى مخالف لدين الوسطية التي نادى بها الإسلام، حيث ميز الله تعالى الأمة الإسلامية وجعلها أمة وسطًا بقوله تعالى في سورة البقرة الآية (١٤٣): ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾، وفي الخطاب السياسي أصبح الدين إطارًا مرجعيًّا لكل الاتجاهات.

المحور الأول : العوامل المؤثرة في التطرف الديني

تمهيد..

إن التطرف علّة من علل الأمم، وقد تسرب إلى الأمم السابقة فأهلكها، وإن تسربه إلى عالمنا المعاصر جعل منه عالمًا متأخرًا لا يعرف الهدوء والاستقرار والسلام، والتطرف كسلوك يمكن أن نجده في أي مكان من مجالات الحياة، والتطرف قد يكون بالكلمة عبر الإسقاطات الموجهة، وقد يكون بالفعل، كالسلوك المنحرف أو العنف، وهو أكثرها تمظهرًا وانكشافًا؛ لأنه يعبر عن مغالاة في سلوكيات ظاهرية معينة بما يخرجها عن حدود الاعتدال، ربما يلجأ إلى العدوان على حرية الآخرين لإرغامهم على تنفيذ ما يريد قهرًا و قسرًا.

أولًا: السياسة الغربية وتأجيج الصراع

كثيرة هي العوامل والأسباب التي أنشأت العقلية الغربية وكونتها، من أهمها الحروب الصليبية التي شكلت منعطفًا هامًا في الصراع بين المسيحية والإسلام، إن الطابع المقدس للحملات الصليبية التي كانت تحت شعار " شاء الرب " لتحرير الأماكن المقدسة من النفوذ الإسلامي، مع أن المقدسات المسيحية لم تكن تواجه أي خطر أو اعتداء من قبل المسلمين؛ لأنها مواقع مقدسة في نظر الإسلام.

إلا أن هذه الحروب فشلت على المستوى العسكري، لكنها أدت إلى امتزاج الثقافات، فقد دخلت الثقافة العربية إلى القارة الأوروبية، وقد اهتم المسيحيون بالإنجازات الفكرية والمادية، وهذا ما ولد شعورا بالدهشة والقلق والخوف على الديانة المسيحية، عند ذلك سارعت الكنيسة إلى اتخاذ موقف لمواجهة الخطر الإسلامي للتحرر من الخوف أولًا، وتحقيق الأمل بالتبشير بالمسيحية ثانيًا، وللحد من انتشار الإسلام ثالثًا.

ثم انتقلت المواجهة من الجانب العسكري إلى الجانب الثقافي "حرب الأفكار" ،وقد عبر عنها بالهجوم الاستشراقي على الإسلام والمسلمين في عقر دارهم، حيث بذلت الكنيسة عن طريق المستشرقين جهودًا جبارة لتشويه صورة الإسلام، ولو أعلن ظاهريًا أن هدف الحركة هو دراسة الشرق لغة وأدبا وتاريخا....، إلا أن الأهداف غير المعلنة كانت طاغية، فقد غلب على بعض المستشرقين انحراف في المنهج وسوء القصد، وقد ظهر ذلك في كثير من الكتابات التي شوهت صورة الإسلام كإثارة الشبهات وتأويل النصوص.(١)

من مظاهر التعصب لمفكري الغرب المستشرقين ما ذكره " روبرتسون سميث" حيث قال ما مضمونه بأن الحياة السياسية والاجتماعية كلها في أي بلد إسلامي تغطى بغطاء الدين، وأن

الإسلام حتى وهو يسيطر على عقيدة العرب لم يقم في الواقع بإصلاح أو معالجة النزعات القبيلة والعصبية السابقة على ظهوره، لذلك اعتبروا الإسلام دينًا انتشر بحد السيف، كما روجوا أفكارا ومقولات صيغت فيما بعد في منظومة مناهضة للإسلام كالعلمانية والماسونية والوهابية، والعلاقة بين الدين والدولة وما إلى ذلك من أفكار أرادوا بها تشتيت أفكار المسلمين وتشكيكهم في عقيدتهم لتنهار القيم والأخلاق المزروعة في نفوسهم.(٢)

لقد مر ألف عام والصراعات بين الإسلام والغرب لم تنتهِ بعد، حتى أصبحت الأجندة الغربية مبنية على افتراضات الوهم والخوف بصورة مرضية لدرجة أن الحرب ضد المسلمين تصور في المخيلة الغربية وكأنها ضد الظلام بقصد إشاعة الأنوار إلى أن أصبح الخوف عقيدة وغاية ما يمكن أن يؤدي إليه هو شن حرب أو إشعال فتيل الصراعات المذهبية والطائفية، كما لعبت وسائل الإعلام الغربية دورًا بارزًا في تشكيل رؤية وهمية عن الإسلام.(٣)

وفي العصر الحديث ما انفكت الولايات المتحدة تسعى إلى تسليط الأضواء على مواطن الاختلاف القائم على أسس دينية في العالم الإسلامي والعمل على تضخيمها وتطويرها على مستوى الخلاف سعيًا إلى إثارة الصراعات بين المسلمين أنفسهم من جانب والمسلمين والأقليات الدينية من جانب آخر محاولة تمزيق وحدة المسلمين وإشعال نار الخلاف الديني، وهو ما يحصل اليوم من تأجيج للصراعات المذهبية والطائفية.(٤)

ثانيًا: الجهل والعقلية القبلية

إن الجهل و العقلية القبلية من أبرز العوامل المؤدية إلى التطرف الديني، فالجهل نقيض العلم والمعروف في كلام العرب "جهلت الشي إذا لم تعرفه"، وفي علم المنطق "الجهل والعلم متقابلان "، لقد هذب الإسلام روح الجاهلية والعقلية القبلية لكنه لم يستأصل جذورها في النفس والروح، بل بقيت خاضعة تعبر عن نفسها كلما سنحت لها الفرصة.

إن الجاهلية القديمة يراد بها المجتمع المقابل للإسلام، وهو المنهج المادي الغارق في الشهوات والشائع بين أفراده روح التعصب والعدوان، كما أن الجاهلية ليست صفة تختص بالعرب قبل الإسلام، وإنما هي سمة كل مجتمع غير مسلم، أما الجاهلية الحديثة فإنها الحضارة التي ابتدعها الإنسان الأوروبي منذ عهد النهضة إلى يومنا هذا وسيطر بها على الآخرين، هذه الحضارة بالتقدم العلمي قد تحولت إلى عامل مدمر ،حيث أصبح الإنسان يمثل قيمة نفعية على أساس الربح والخسارة.(٥)

العقلية القبلية عادت من جديد وفرضت سيطرتها، فانتشرت حركات التعصب والتطرف التي ملأت كل مكان من العالم، إن موجة التعصب تأتي بعد أن فقدت روحها الإيجابية، حيث كانت دفاعًا عن النفس وإظهارًا للحق، هنا تحولت إلى أمر سلبي يهدف إلى تحقير الآخرين وسلبهم حقوقهم، إذًا هي حركة رجعية متخلفة تضرب القوانين والأعراف التي يقوم عليها تماسك أي مجتمع من المجتمعات وتصيبه بالشروخ العميقة.

كما يستعمل المتطرفين مصطلحات شائعة في قاموسهم منها، الجاهلية، فهم يطلقون القول بجاهلية المجتمعات المعاصرة، أي الحكم عليها بالكفر، كما يشاع في قاموسهم ألفاظ الكفر والردة، ويجري استخدامها بغير ضوابط ،حيث إن التكفير سلطة إلهية لا يستطيع أحد من الناس أن يُكفّر مسلمًا نطق بالشهادتين، كما أن مرتكب الكبائر لا يُكفّر فاعلها بارتكابها أو بالإصرار عليها، وهم في مشيئة الله، كما فرقت الشريعة بين العقوبة المقررة للكفر والردة وبين العقوبات المقررة للمعاصي.

إن هذه الأفكار المتطرفه نتيجه الجهل التصديقي ويعبر عنه بـ "الجهل المركب"؛ لأن صاحبه يجهل شيئا وهو غير ملتفت إلى أنه جاهل، بل يعتقد نفسه من أهل العلم به كأهل الاعتقادات الفاسدة الذين يحسبون أنهم عالمون بالحقائق وهم جاهلون بها، في الواقع أن الجهل التصديقي هو ما أصاب بعض العقول من الأمة الإسلامية فنشأ عن ذلك قصر نظر ومحدودية في التفكير فعادوا بذلك إلى جاهليتهم الأولى قبل ظهور الإسلام رجعوا رجعة وراثية، أي إن صفاتهم وسماتهم عادت إلى الظهور من جديد على صعيد الرد كما تعني الرجوع إلى الوراء.(٦)

المحور الثاني : استراتيجية التواصل والحوار

تمهيد

إن الأديان السماويه جميعًا تدعو إلى الحوار، من خلال حوارات الأنبياء فقد تسلموا بالحجة، واعتمدوا على منطق العقل، واستندوا إلى منهجية الحوار في قبول أو رفض ما يعرض لهم

من قضايا، فالحوار هو من الواجبات الإنسانية، ومتى انعدم الحوار حلّ التعصب والتطرف والجهل والفرقة والشقاق.

إن للحوار تأثيرا بالغا على الأفراد و المجتمعات من تواصل و التقاء حول أمور خلافية واختلافية لحلها والتفاهم عليها، وذلك يسهم إسهامًا كبيرًا في إرساء الوحدة الإسلامية والانصهار تحت شعار الأمل والاستقرار، وإلى إفساح المجال للعقل وبيان السنن الإلهية الحاكمة في هذا الكون، التوازن والوسطية والتي لا يمكن للإنسان الخروج عن قواعدها وأصولها، وإن حصل هذا الخروج فسيقع في دائرة ظلم بنفسه وظلم الآخرين بالتطرف والاعتداء على الآخرين سواء بالقول أو بالفعل.

أولًا: التواصل و الحوار بين الأديان و الشعوب

إن الإنسان مخلوق كرمه الله تعالى وأعطاه الحرية وخصه بالعقل الذي يميز به الحق من الباطل و جعله مخلوقًا اجتماعيًا بطبعه، كما تشهد حياته حدوث مشكلات نابعة من ظلم القوي على الضعيف، فالمجتمعات البشرية قابله لأن يكون فيها التواصل والتقاطع والظلم والهمة والاقتصاء، إلا أن التعارف بين هذه التجمعات هو مقصد ومطلب كل إنسان، وهذا التعارف لا يتم إلا عبر التواصل و الحوار.(٧)

إن طبيعة الحوار تتطلب وجود اختلافات في الفكر والرؤى، وإن ذلك تنوع طبيعي للتنوع الإنساني، وفي مجتمع متعدد الأديان والمذاهب يصبح الحوار المنفتح ركنًا أساسيًا من أركان وحدته واستقراره؛ لأن الحوار لا يكون إلا مع الآخر المختلف، لذلك فإن الركيزة الأولى للحوار هو القبول والاعتراف بالآخر المختلف، وهذا القبول ميزة من مميزات الإسلام، وهنا يبرز دور الحوار وأهميته بالنسبة إلى هذا التنوع والاختلاف كما في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ﴾. (٨)

إن القرآن الكريم قائم على مفهوم الحوار بحيث إن خطابه مع البشر جميعًا قائم على الحوار المتمثل بأحرف النداء، والقصد منها توجيه الدعوة للمخاطب إلى ما يريد الله منه، وقد أطلق القرآن دعوة صريحة للحوار، كما في قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ﴾. (٩)

من مقومات الأدبيات الإسلامية احترام الآخر المختلف والانفتاح عليه والتكامل معه وليس تجاهله وإلغاؤه، لكن البعض فهم من النصوص والآيات القرآنية أن العلاقة مع الآخر هي قائمة على الصِدام، أي إن الحوار لا يقوم إلا بالقوة والقهر، وهذا لا ينسجم مع التسامح في الدين

الإسلامي، وهذا الفهم الخاطئ يدفع باتجاه التطرف واستثمار الدين في تحقيق مصالح ومكاسب.(١٠)

إن الحوار أما يكون بين طرفين يعترف أحدهما بالآخر أو بين طرفين ينكر أحدهما الآخر، وعلاقة الأديان ببعضها من النوع الذي ينكر أحدهم الآخر، فاليهودية تنكر المسيحية والإسلام وكذلك المسيحية، ما هي إلا حرب أفكار، مع أن المنهج القرآني قائم على احتواء الديانتين اليهودية والمسيحية، لكن مع ذلك قد أسيئ فهم الشريعة الإسلامية وبالتالي أسيئ تطبيق نصوصها السمحة.(١١)

إن استراتيجية الحوار قد تكون داخل الدين الواحد، حيث تكون بين الفرق والمذاهب ،والحقيقة أنه من دون التفاهم بين أهل الدين الواحد لا يمكن أن يتم التفاهم بين أهل الأديان الأخرى، فإن النتائج الإيجابية والسلبية التي تنتج عن الحوار الداخلي تؤثر إيجابًا أو سلبًا على الحوار الخارجي.

وقد تكون استراتيجية الحوار خارجية، وهي تقوم بين الأديان المتعددة، وهذا الحوار لا يمكن أن يكون ناجحًا إلا إذا اعترف كل واحد منهما بالآخر على أساس اختلافه وتنوعه وخصوصياته، إلا أن الواقع يقوم على سياسة التخريب الحاد بين فرق يحرص كل منهما على نفي الآخر واستبعاده، ولا سبيل للخروج من هذا النفق المظلم إلا من خلال التفاعل الحر والحوار مع جميع الآراء والأفكار والثقافات وتحرير إرادة الفرد من نزعة العداء لكل ما يختلف معه ،أي تحريره من نزعة الاستبعاد والإقصاء التي نمارسها ضد بعضنا التي تقودنا إلى التطرف.(١٢)

ومن نتائج الحوار البنّاء الفهم والتفاهم على القضايا الخلافية والالتقاء حول مسائل معينة لتقريب وجهات النظر بينهم، فهو يسهم في يومنا هذا في مواجهة التطرف الديني، وانتشار هذه الظاهرة وما يصاحبها من تشدد وتزمت وإرهاب في كل المجتمعات الإنسانية.

إن الحوار يولد حالة من الاعتدال الديني بكشفه عن المسائل الدينية الغامضة وتقبل وجهات النظر الأخرى، وهذا الاعتدال لا يقبل التخلي عن العقائد الأساسية للدين، إنما يؤدي إلى فهم الرؤى الأخرى وتعميق الرؤية الخاصة للاعتقاد من خلال التعرف إلى مواقف الأديان المختلفة.

ثانيًا: تحرر العقل

يحتل العقل مساحة واسعة في معالجة قضايانا، وقد سمي العقل عقلًا؛ لأنه يعقل صاحبه عن التورط في المهالك، أي يحبسه وبه يميز الإنسان عن سائر الحيوان، والعاقل الذي يحبس نفسه ويردها عن هواها.(١٣)

فإذا وجد العقل وجد التكليف، وإذا انعدم انعدم التكليف، فلا تكليف على قاصر حتى يبلغ، ولا على مجنون حتى يعقل، واليوم كثيرة هي الأصوات التي تدعو إلى العقل والعقلانية في مواجهة التطرف الديني عبر تحرير العقول عند النظر في العوامل الذاتية التي تحجب الحقيقة، وأهم هذه العوامل عامل الهوى، فإذا استخدمنا العوامل الذاتية بكل معطياتها وجوانبها فإننا نصل إلى الرؤى والأحكام التي يفرضها الموضوع، ونلاحظ قبل الألفية الحالية أن الأديان كانت تتطور وهي على جهل حقيقي بغيرها من الأديان إلى أن حصلت حركات توسع كبرى أدت إلى تواصل فيما بينها، غير أن هذه اللقاءات والتفاعلات كانت صراعات أكثر منها اتفاقات، فهي لم تؤدِ إلى فهم عميق، فلم يحصل ذلك إلا خلال ما يقارب المائة سنة الأخيرة.

إن التكوين المعرفي الصحيح للعقل يقوم على رفض الخرافة والجهل والاتباع الأهوج في التلقين وملء العقول، الفكر السليم القائم على العلم يحارب التطرف والتعصب والحماس الأهوج؛ لأنها سلوكيات تخالف العقل ومنهجه حتى لو تلونت وتزينت بزي الدين.

والآن بعد أن أصبح العالم وحدة تواصلية يمكننا الاتصال والتواصل مع من نريد، كذلك يمكن عرض للرؤى والأفعال والأعمال الحسنة والعكس كذلك، هذا ما يحصل حيث تعرض الأفعال الوحشية التي تمارسها الجماعات المتطرفة المدعية بأنها إسلامية بشكل واسع أمام العالم أجمع لتشويه صورة الإسلام والتأثير على كل متلقٍ.

الخاتمة:

نحن نعيش اليوم في القرن الواحد و العشرين، لا يمكن أن نبقى أسرى أحداث جرت في القرون الأولى، وهذه أحداث معظمها يؤجج الصراعات والخلافات المذهبية والطائفية ويشعل نار الفتنة، والقوانين والنظريات التي أُستنبطت لا تبقى صالحة إلى يومنا هذا، و في ذالك تشويه للدين وتصويره وكأنه عاجز

من الانتقال من عصر إلى عصر. ونرى أن بعض المسلمين بفكرهم وممارساتهم مصابون بأوهام العظمة والتحجر والانغلاق التي أنتجت نماذج من التطرف والعنف، وهذا ما شوّه صورة الدين الحنيف وألصق به تهمة التطرف والإرهاب. فالذي يحدث اليوم مشابه لما حدث للمسيحية، حيث كفر الناس بسلطة الكنيسة عندما حمّلت الدين كل جرائمها. وبالفعل هذا ما يجرى، وهو تحمل الدين الإسلامي وزر كل الجرائم التي ترتكب باسمه. فنحن في وطننا لا نعيش وحدنا، الآخر مختلف بدينه وفكره، يجب أن ننسج معه علاقات بنّاءة قائمة على أسس تواصلية وحوارية ليعيش الجميع بأمن وسلام تحت سقف الوطن الذي يحميهم ويجمعهم. ونعطي مثالًا حيًا من واقعنا، فنحن في لبنان نعيش على أرضه، طوائف ومذاهب متعددة، سابقًا عصفت به حروب وأحداث دمرت المنازل وقتلت و هجرت الكثير من مواطنيه، لكن تجارب الكروب المتكررة علمت اللبنانيين دروسًا في إدارة العيش المشترك ونبهتهم إلى خطورة الانقسام الداخلي على مصير الوطن أرضًا وشعبًا، وجعلتهم يدركون أهمية الحوار واحترام بعضهم البعض، وضرورة العيش معًا في وحدة تامة وتآلف وتضامن ليعم السلم والأمن على الأراضي اللبنانية كلها. ثم تأتي أهمية الحوار الديني بأنه متمم لإنسانية الإنسان. ومن ضرورات الحياة الاجتماعية والثقافية للمجتمع الإنساني. بحيث إن انعدام الحوار يؤدي إلى التعصب و التحجر و الانغلاق. وهناك شواهد كثيرة في تاريخ المسلمين. حيث نجد أن الحوار سواء كان ذا طابع ديني. أو طابع سياسي قد غاب في حياه المسلمين لصالح الاستبداد بالرأي، و غالبًا ما كانت المصالح السياسية و الأطماع الشخصية هي الحاكمة و المجتهدة في النصوص الدينية [تأويل و تبرير]، ما أدى للمسلمين أن يكونوا أسارى هذه الرواية الفكرية أو تلك.

لذلك اليوم لا زال الحوار يقبع تحت مطرقه الاستبداد بالرأي في الدين و السياسة، و للخروج من ذلك يحتاج الحوار الديني مناخًا متسامحًا وقاعدة علمية تسمح بحرية التعبير الديني، وهذا المناخ المتسامح، مناخ يعترف بالتعددية الدينية ويقبلها على أساس الاختلاف الطبيعي بين البشر. و هذا الاختلاف هو فهم اجتماعهم وتعاونهم وتبادلهم للمعارف. كما أن الدين الإلهي لا يمكن أن يكون سببًا للفرقة والشقاق. فهو نبذ كل عصبية وحمية ووصفها بالجاهلية، فالقرآن يمنع من ذلك ويدعو إلى كلمة سواء فيما بينهم، أي أن الحوار يأخذ بالأيادي إلى المساحات المشتركة بين أهل الإيمان، بحيث يتعرفون إلى أهم الأصول التي بينها القرآن الكريم وأهمها الكرامة الإنسانية والأخوة الإيمانية. فالإنسان أخو الإنسان أحب أم كره. فإذا تواصلت الشعوب وتصادقت في ضوء هذه الحقيقه [الاختلاف] فإن ذلك سوف يحفظ للإنسان كرامته وحريته وإنسانيته. وإلا كانت النتيجة حصول الصراع والصِدام والخروج بذلك عن الأصول الكونية الحاكمة.

التوصيات :

١- نوصي المشرع العراقي بوضع تشريع خاص بمكافحة التطرف الديني على اختلافه أساليبه وأنماطه وأن يكون هذا التشريع جامعا ومانعا لكل هذه الأساليب والصور.

٢- يجب قيام الجهات المختصه وذات العلاقة بالحث على التوسط بالدين والاعتدال فيه؛ وذلك لأن التطرف الديني هو واحد من أبرز أنماط الإرهاب الفكري، وهنا يبرز دور سلطات الضبط الإداري بالتدخل في وضع رقابة على الأوضاع الدينية للأفراد؛ وذلك لأن الإسلام يدعو إلى الوسطية.
٣- يجب وضع رقابة علمية على مناهج التعليم، وذلك لمواكبة التطورات السائدة في المجتمع من خلال تجديدها ووضع كل القيم والمبادئ الدينية والوطنية التي نرغب في زرعها في نفوس أبنائنا، والابتعاد عن زرع الحقد والعنف والطائفية.
٤- ندعو رموزنا الدينية والذين هم قادة المجتمع لما لهم من تأثير على نفوسنا، إلى أن يجعلوا من خطاباتهم ومنابرهم أداةً للقضاء على التطرف الديني، وذلك من خلال توعية الأفراد.
٥- وضع قيود رقابية شديدة على وسائل الإعلام وفرض جزاءات شديدة على كل جهة محرضة على العنف والتطرف الديني.
٦- قيام دواوين الأوقاف بإصدار التعليمات اللازمة لمراقبة الخطب والمحاضرات الدينية، واتخاذ إجراءات بحق الخطب التي تدعو إلى التطرف الديني.
٧- وضع التشريعات اللازمة التي تمكّن الموسسات الدينية والعلامية والموسسات ذات العلاقة بفتح الحوار بين الأديان والمذاهب وتجريم التطرف الذي يدعو إلى تكفير الآخر.

الهوامش:

١- محمد حسين أبو سعده، الاستشراف والفلسفة الإسلامية، أبو حريبة للطباعة، ط ١،١٩٩٥ ص ٥١ ــ ٥٢ ــ ٥٦ ــ ٥٨.

٢- أدوار سعيد، للاستشراق { المعرفة ــ السلطة ــ الإنشاء } الترجمة : كمال أبو ديب، بيروت ط ٢، ١٩٨٤، ص ٢٤٣، ٢٤٤.

٣- فائز صالح محمود اللهيبي، إشكالية الخوف من الإسلام، حلب، دار النهج، ط ١، ٢٠٠٩، ص ٢٩، ٣٠

٤- اللهيبي، مصدر سابق الذكر، ص ١١٩، ١٢٠

٥- محمد مهدي شمس الدين، بين الجاهلية والإسلام، المؤسسة الجامعية للديانات والنشر والتوزيع، ط ٤، ١٩٩٥، ص ٢٣٨، ٢٥٧

٦- أسعد رزق، موسوعة علم النفس، بيروت، دار الفارس، ط ١، ٢٠٠٥، ص ١٣١

٧- صهيب حبلي، إسلامنا لا إسلامهم، بيروت دار المحجة البيضاء، ط ١، ٢٠١٦، ص ١٨٢

٨- القرآن الكريم، سورة الروم، الآية ٢٢

٩- القرآن الكريم، سورة آل عمران، الآية ٦٤

١٠- محمد السماك، مقدمه إلى الحوار الإسلامي – المسيحي، دار النفائس، ط ١ ن ١٩٩٨، ص ١٣

١١- محمد السماك، مصدر سابق الذكر، ص ٩٠، ٩١

١٢- نصر حامد أبو زيد، الخطاب و التأويل، بيروت، المركز الثقافي العربي، ط ٣، ٢٠٠٨، ص ٢٤٥، ٢٤٦

١٣- محمد ابن منظور، لسان العرب، بيروت مؤسسة الأعلمي، ط ١، ٢٠٠٥، ص ٢٧١